

مكتبة

كتبة القديس إرمانس والابا طرس

البيروت

الرقم الكتابي : ٤٤٤ / طه

الرقم المكتبي : ٢٨٦٣

تاريخ الازدواج : ١١٤٥

مطرانيت ملوى
وانضنا والاشموني

الليثورچيا

من منظر مسكونى عصرى

نيافة

الانبابمين

اسقف كرسى ملوى وانضنا والاشموني



قداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر

الجليل الأنبا بيمهن

اسقف كرسي ملوى وانصنا والاشمونين

1000

مقدمة

انه بسبب انتشار الاتجاهات التحررية فى العالم الغربى ، سواء فى الدراسة اللاهوتية ، أو فى السلوك البشرى ، فقد انتشرت المذاهب الكثيرة المتضاربة ، وكثرت الآراء المتباينة فى تفسير الكتاب المقدس ، والنظرة الى العبادة ووظائف الكنيسة ...

الأمر الذى دعا قيادات الفكر اللاهوتى أن يتجهوا الى العصور الأولى للمسيحية ليجدوا فيها الأسس اللاهوتية والروحية السليمة التى تبنى عليها جميع الدراسات الكتابية واللاهوتية والروحية والسلوكية ، كما تصلح أن تكون المصدر السليم للوحدة المسيحية .

ولما كانت الليتورجيات هى احدى هذه المصادر الأساسية لدراسة المسيحية الأولى ، فقد ظهر علم اللاهوت الليتورجى Liturgical Theology وكثرت الدراسات والأبحاث العلمية والروحية المتعلقة بهذا المجال، وبدأت الكنائس الشرقية ، وهى التى حافظت على هذا التراث

الشمين في عبادتها وكتابتها أن تقدم ما عندها لكي لا تنعزل عن تيار متدفق في الفكر المسيحي ، واهتم مجلس الكنائس العالمي باقامة مؤتمرات بعضها للكنائس الشرقية فقط ، وبعضها يجمع الشرقيين والغربيين لدراسة كل ما يتعلق بالليتورجيات ومكانتها وأصالتها وروحانياتها ، ومدى فائدتها للمؤمن المعاصر .. وقد حضرنا بنعمة الله مؤتمرا في الصيف الماضي في رومانيا استمر اسبوعا يدرس ويبحث كيفية تقديم التقليد الكنسي بما فيه من ليتورجيات للمسيحي العصري ، وكيف تسهم التربية المسيحية في تدعيم ارتباط المؤمن وتفهمه للتقليد والليتورجيات . وكيف يمكن أن تمارس الليتورجيات بطريقة يفهمها الشاب المعاصر ، ويستطيع أن يفيد منها في حياته الروحية والعملية .

وقد جاء مؤتمر الليتورجيا الذي رتبته ايبارشيات محافظة المنيا الثلاث في أوائل ديسمبر سنة ١٩٧٦ مواكبا لنفس الاتجاهات ، وبحث موضوعات في غاية الأهمية نذكر منها :

- + الليتورجيا وحياة الشركة .
- + الليتورجيا والكتاب المقدس .
- + الليتورجيا والنظرة المسكونية والكونية المعاصرة .

وستحاول تقديم هذه الموضوعات للشباب غير متقيدين
بما جاء في المحاضرات فقط بل ومحاولين اعدادها للنشر
مستفدين من المراجع والمؤتمرات المسكونية .

والله ابونا الذى اعطانا عزاء ابديا ورجاء صالحا بالنعمة ،
قادر ان يعزينا جميعا بالفيض الذى يسكبه علينا من خلال
الكنيسة وخدماتها بصلوات العذراء القديسة مريم وجميع
مصاف القديسين ، وصلوات ابينا كلى الاحترام صاحب

القداسة البابا شنودة الثالث

ولربها المجد والكرامة الى الابد آمين .

يمين

بنعمة الله

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

برمون الغطاس

١٠ طوبة ١٦٩٣

١٨ يناير ١٩٧٧

معنى كلمة ليتورجيا وأهميتها

في المصطلح اللغوي تعنى كلمة ليتورجيا الخدمة العامة التى تؤدى لأجل الجماعة والشعب وهى مشتقة من مقطعين :

Liow = People

Ergia = Work

وقد استخدمت هذه الكلمة لتعنى العبادة والخدمات الكنسية ، التى تمارس فى حضور المؤمنين معا . فالأسرار كلها يمكن اطلاق اسم الليتورجية عليها ، مثل ليتورجية العماد ، أو ليتورجية الزواج ، أو ليتورجية مسحة المرضى .. كما يمكن أن تطلق على خدمات أخرى مثل ليتورجية التماجد للقدسين وليتورجية التسبيح .. الخ .

ولكن القديس الالهى يبرز بين هذه الخدمات كلها ليقترن باسم الليتورجيا ، حتى أصبح من الشائع أن كلمة ليتورجية تعنى القديس أو خدمة الأفخارستيا ...

ويعبر أحد اللاهوتيين المعاصرين عن أهمية الليتورجيا :

بقوله « انها اعظم اسرار ايماننا ، انها ينبوع حياتنا الروحية كمسحين ، فهي سر موتنا وقيامتنا وعبورنا مع المسيح . . . وهي أيضا سر العبادة ، وهي حجر الزاوية في خدمة الكنيسة وعبادتها ، وهي التي تجعل المؤمنين عابدين بالروح والحق ساعين ومتجهين في مسيرة خلاصهم نحو الآب السماوى ، فهي اذن سر الكنيسة ، وهي افصح شهادتها نحو العالم ، كوظيفة أساسية من وظائفها منذ العصر الرسولى . . . بل اننا نستطيع أن نقول انها سر حياة الكنيسة وشركتها مع المسيح » .

الليتورجيا حفظت لنا اللاهوت والعقيدة السليمة :

تعتبر الليتورجيا احدى مصادر التقليد الكنسى الهامة للتعرف على الحق ، وتفهم اللاهوت الحى وتقبله وتمثل فاعليته في الحياة الروحية . وفيها أيضا العقيدة السليمة التى لا يشوبها أى فكر بشرى أو تعديل انمائى . . . فهي تراث حى باق عبر كل العصور والأجيال يرتشف منه العباد بالهامات وطاقت روحية لخلاصهم ، كما يستمد منه الباحثون والعلماء أنقى المصادر للفكر المسيحى السليم .

ففى الليتورجيات نجد على سبيل المثال - عقيدة الثالوث القدوس واضحة للغاية ، فالبركة الرسولية تمنح

فى القداس من خلال محبة الآب ونعمة الابن الوحيد ، وشركة
وموهبة وعطية الروح القدس .

وفى رفع بخور باكر وعشوية يعطى التمجيد للآب
ضابط الكل والابن الوحيد الجنس يسوع المسيح ربنا
والروح القدس المعزى ثم الثالوث القدوس الآب والابن
والروح القدس ..

وفى دورة الحمل تمجيد وكرام للثالوث القدوس وفى
رشومات الحمل تبريك وتمجيد للأقانيم الثلاث ، والشماس
يؤكد على هذا الايمان بقوله « واحد هو الآب القدوس ،
واحد هو الابن القدوس ، واحد هو الروح القدوس آمين » .

وفى تحليل الخدام يعطى الحل من فم الثالوث القدوس
ثم من فم الكنيسة الواحدة وأفواه الرسل والآباء القديسين .

ولا تكاد تخلو صلاة سرية أو علنية للكاهن الا ويعطى
فيها المجد والكرامة والعز والسجود للآب والابن والروح
القدس المحيى المساوى الآن وكل أوان والى دهر الدهور كلها
آمين .

وبنفس الاتجاه نجد ليتورجية العماد تؤكد وتلقن
المعتمد أو الأشبيين (أومن باله واحد) الله الآب ضابط

الكل ، وأبنة الوحيد يسوع المسيح ربنا ، والروح القدس
المحيى ، وقيامه الجسد والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة
الجامعة الرسولية آمين .

وفي ختام كل صلاة وأوشية يعطى الخادم المجد والاكرام
لثالوث القدوس ..

وهكذا نجد الايمان السليم والعقائد الصحيحة مذخرة
في الليتورجيات ، والذي يشترك في القداسات وكافة
الليتورجيات والصلوات الكنسية يدرك مدى وضوح العقائد
المسيحية الأرثوذكسية السليمة في ثنايا جميع الخدمات
الكنسية .

الليتورجيا حفظت لنا روح العبادة :

عندما كانت الكنيسة في عصور ازدهار العبادة واشتغال
الحرارة الروحية ، كانت الليتورجيات مصدر الهام وغذاء
واشراقات روحية لكل مؤمن ومؤمنة - وكانت الليتورجيات
تلفف المناخ الكنسى وحياة المؤمنين بموجة من الروحانية
العميقة حتى أن الطابع العام لكل الكنيسة يتسم بالخشوع
والسجود والانسكاب ورفع القلب والصلابة الدائمة والوقوف
ساعات طوال في حضرة الرب .

وعندما كانت الكنيسة تمر في عصور الضعف ، كانت

الليتورجيات حصنا منيعا وسمورا متينا يحمى التراث من الضياع أو الانحراف أو تسلل البدع . وكان الأقباط يذهبون الى كنائسهم يصلون القداسات ويمارسون خدمات الأسرار ويخرجون فاهمين ايمانهم من خلال الطقس متمسكين بعقائدهم مستعدين للموت حفاظا على هذا الكنز الثمين والتراث المجيد المستودع ليس في كتب الكنيسة فحسب وانما منقوشا على قلوبهم في وقت لم يكن فيه وعاظ. ملهمون أو خدام مضيئون او كليات لاهوت وأساتذة للعلوم الدينية واللاهوتية . فرغما عن كل هذه الأوضاع كانت الليتورجيا الدرع الواقى للكنيسة يحميها من اندثار العبادة أو تسلل التعاليم الغريبة .

والواقع ان العبادة ليست مجرد وظيفة من وظائف الكنيسة ، انما الكنيسة لا تفهم الا من خلال العبادة ، فهي جوهر الكنيسة وفحواها ، هى استعلانها وملء كيانها ، هذا الكيان الذى يعبر عنه بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع .

لهذا تحرص الكنيسة أن يعيش أولادها بروح العبادة والقداسة كاستعداد لملاقاة العريس السماوى عندما يأتى على السحاب ليختطف الكنيسة ويدخلها الى مجد أبيه الصالح . فالعمل الرئيسى والأساس لوجود الكنيسة

والمعبر عن صميم طبيعتها هو الوحدة والقداسة والحب
والشهادة للحق والشركة مع الثالوث القدوس .

لقد ظلت الليتورجيات - كأنفاس الله والقديسين في
الكنيسة - تصنع البشر خليفة جديدة ساعية الى الملاء
لينالوا نعمة فوق نعمة ، وليؤهلوا لكي يكونوا أمة مقدسة
وشعبا مبررا وكهنوتا ملوكيا ليخبروا بفضائل من دعاهم من
الظلمة الى نوره العجيب (١ بط ٢ : ٩) .

ولقد حرصت الليتورجيات على أن تصبح الكنيسة
في مجال النعمة والحق ، وليس في مجال الفرائض والطقوس
والشكليات .

ان الليتورجيات هي التي منعت روح اليهود بين
المؤمنين ، وظلت عبر العصور تنادى القرييين والبعيدين
ان الحياة المسيحية ليست مجرد حياة للمسيح ويبقى
المسيح بعيدا عنك ، وانما المسيحية هي الحياة في المسيح
متجهة نحو الأب بعمل وفاعلية الروح القدس . . هذا
الاختبار الثالوثي الباطني هو موضوع تأكيد الليتورجيات
في صلواتها وطقوسها وكافة خدماتها . .

لقد أعطى هذا الحرص الشديد بصيرة أن تحيا مركزة
عملها على الحياة الداخلية والعمل السرى الذى يشع

تلقائيا بسبب فاعليته الدينامية الالهية كرازة وخدمة وشهادة
تلقائية ..

ان الليتورجيات هي التي **حمت الكنيسة من انفصال الكرازة والتعليم والعبادة** - لان القراءات الكنسية والعظات والخدمات التعليمية لا تكون في الكنيسة الأرثوذكسية الا من خلال العبادة وممارسة الليتورجيات .

ولقد فطن لهذا المعلمون الروحيون واستوعبوا الفكر الأبائى بسهولة ويسر من خلال الليتورجيات والقراءات الكنيسة على مدار السنة والأسبوع ، واليوم ..

اما المعلمون الكنسيون الحقيقيون فلم يكونوا أحرارا يقولون ما يريدون من آراء ومبادئ وأفكار ، بل التزموا بروح الكنيسة ومنهج الآباء ، وكان المنبر المرتبط بالمذبح عاملا أساسيا في حماية الكنيسة من أى انحراف عقيدى او لاهوتى ، وبالتالي فى تدعيم الحياة الروحية الأصيلة فى قلوب المؤمنين .

فالعبادة مسيحيا هي اختبار التعرف على الله ؟ والمعرفة الروحية لا تكون الا بالاختبار والعبادة ..

فمن خلال سر المعمودية **تستنير الحواس الداخلية** بالتعرف على الحق وتصبح النفس مستعدة وقادرة على النطق بالحق والشهادة له ان اخلصت السير على الدرب الروحاني الآبائي .

ومن خلال سر التثبيت **تصبح لنا المسحة التي من القدوس** وهذه تعلمنا كل شيء وتعرفنا الحق ذاته ..

ومن خلال سر الافخارستيا سر الشركة مع الله **يسلم الرب يسوع كنيسته سر معرفة الآب** .. نعم نعرف الآب الذى بذل ابنه الوحيد فدية وخلصنا وغفرانا لخطايانا من خلال المعرفة البنوية التى تصير لنا بشركتنا فى الجسد والدم الأقدسين بواسطة عمل وفاعلية الروح القدس العامل فى الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية .

وكلما نأكل من الخبز الواحد ونشرب من الكأس الواحدة تستنير عيون قلوبنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض ، وتستنير بمعرفة رجاء الدعوة وغنى مجد ميراثه فى القديسين وعظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذى عمله فى المسيح اذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السماويات ليسود فوق كل سلطان وسادة ، ويصبح رأسا للكنيسة التى هى جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل ..

الليتورجيا والاتجاه المسكوني

منذ نشأة الكنيسة يوم الخمسين والرّب يتجاوز الحواجز القومية والتعصبات القبلية واللونية والجنسية ، ففي يوم العنصرة حل الروح القدس على التلاميذ وتكلم فرتيون وماديون وعيلاميون ويهود وكبادوكيون وأناس من بنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر وليبية وعرب بالسنة تنطق بعظائم الله .

وقد أوضح بولس الرسول أن كراتته ليست قاصرة على أهل الختان ، ولكن الله أتمنه على انجيل الغرلة ، وعبر عن هذا بقوله « حيث ليس يوناني ويهودي ختان وغرلة بربرى سيكثى عبد حر بل المسيح السكّل وفي الكل » (كو ٣ : ١١) .

وهو الذى أوضح أيضا اتجاه الشهادة في منهج الكرازة حسب خطة الله الأزلية بقوله « ان الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالانجيل الذى صرت أنا

خادما له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لى حسب فعل
قوته « (أفسس ٣ : ٦) .

وهذا هو السر المكتوم منذ الدهور فى انه خلق الجميع
بیسوع المسيح ، وقد عرف عند الرؤساء والسلاطين فى
السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة . فقد
جعل الأثنين (اليهود والأمم) واحدا ، وتقض حائط السياج
المتوسط أى العداوة مكملا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض
لكى يخلق الأثنين فى نفسه انسانا واحدا جديدا صانعا سلاما
ويصالح الأثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة
به فجاء وبشركم بسلام انتم البعيدين والقريين لأن به لنا
كلينا قدوما فى روح واحد الى الأب ، فليستم اذا بعد غرباء
ونزلا بلا رعية مع القديسين وأهل بيت الله « (أف ٢ :
١٧ - ١٩) .

والكنيسة تحيا هذه الروح المسكونية فى ليتورجياتها ،

فهى تصلى من أجل الجميع ، من أجل الكل ، لاتعرف قومية
ولا نعة تعصية طائفية . بل صلواتها من أجل الجميع ؛
اسمها فى أوثنية السلامة تقول :

« أذكر يارب سلامة كنيستك الواحدة الوحيدة
المقدسة الجامعة الرسولية ، هذه الكائنة من أقصاء المسكونة

الى أقصاها . كل الشعوب وكل القطعان باركهم . السلامة
التي في السموات انزلها على قلوبنا جميعا ، بل وسلامة هذا
العمر أنعم بها علينا انعاما .. الرئيس ، القضاة ، الجند
المشيرون ، الجموع ، جيراننا ، مداخلنا ومخارجنا زينهم
بكل سلام .. ياملك السلام اعطنا سلامك لأن كل شيء
اعطيتنا اقتننا لك يا الله مخلصنا لأننا لا نعرف آخر سواك .
اسمك القدوس هو الذي نقوله فلتحيا نفوسنا بروحك
القدوس ، ولا تدع موت الخطية يقوى علينا نحن عبيدك
ولا على كل شعبك » .

والكنيسة ترى نفسها مسئولة أن تصلى من أجل
المرضى في العالم مهما كانت جنسيتهم أو قوميتهم .. انها
تتضرع لأجلهم لكي الرب الاله يعطيهم معونة وشفاء وعزاء
وخلصا .

اسمها تقول في أوشية المرضى « والذين أبطالوا
مطروحين في الأمراض أقمهم وعزهم ، والمعذبين من الأرواح
النجسة **اعتقهم جميعا** . الذين في السمجون أو المطابق أو
النفى أو السبي أو المقبوض عليهم في عبودية مرة يارب
اعتقهم **جميعا** .. لانك أنت تحل الربوطين وتقيم الساقطين ،
رجاء من ليس له رجاء معين من ليس له معين . عزاء صغيري

النفوس ميناء الذين في العاصف . كل الأنفس المتضايقّة
والمقبوض عليها . أعطاها يارب رحمة ، أعطى نياحا . أعطاها
برودة ، أعطاها نعمة . أعطاها معونة و خلاصا ، أعطاها غفران
خطاياها وآثامها .

وهكذا عندما تصلى من أجل المسافرين تطلب من أجل
الذين يضمرون السفر في كل مكان أن يسهل الرب طرقهم
اجمعين ان كان في البحر أو الأنهار أو البحيرات أو الطرق
المسلوكة أو السالكين بكل نوع ، كل أحد بكل موضع ، لكى
الرب الاله يردهم الى ميناء هادئة ميناء الخلاص ..

وتتوسل الى الرب أن « يصحبهم في الاقلاع وفي المسير ،
ويردهم الى منازلهم بالفرح فرحين وبالعافية معافين » .

مسئولية الكنسية ازاء غير المؤمنين :

وإذا كانت الكنيسة تصلى في شموليتها لكافة البشر
سواء في مرضهم أو سفرهم أو في مهنتهم وعملهم ووظائفهم ،
فهى ترى نفسها مسئولة عن غير المؤمنين في كل العالم ..
تصلى وتشفع عنهم وتطلب لأجلهم ، وان كان بعض منهم
حكاما أو رؤساء فتدعو لهم بالحياة الهنيئة والسلام والعدل
والطمأنينة . اسعها نقول في أووشية الرئيس والحكام :

« نَسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر أذكر يا رب
أرضنا » فيقول الشماس « أطلبوا لى يعطينا المسيح الهنا
رحمة ورأفة أمام الرؤساء الأعزاء ويعطف قلوبهم علينا
بالصلاح فى كل حين ويغفر لنا خطايانا » . . ويكمل الكاهن
طلبته فيقول « احفظه فى سلام وعمل وقوة ، وتخضع له كل
الأمم الذين يريدون الحرب . . تكلم فى قلبه من أجل سلام
كنسيتك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية .
اعطه أن يفكر بالسلام فىنا وفى اسمك القدوس ، لى نعيش
نحن أيضا فى سيرة هادئة ونوجد ساكنين بكل تقوى
وعفاف » .

ليس عند الكنيسة فى ليتورجياتها اذن أدنى تعصب
أو مقاومة الشر بالشر ، بل هى تدعو ملك السلام أن ينعم
سلامه على جميع الحكام وكل الجيران وكل الجوع وسلامة
العمر ينعم بها على الجميع انعاما . .

الليتورجيا والاتجاه الكوني

تؤمن الكنيسة أيضا أن هناك علاقة صميمية بين الانسان والمادة والكون الذي نعيش فيه . فمنذ خلق الله الانسان على صورته أعطاه سلطانا أن يملأ الأرض ويخضعها ويتسلط على طيورها وأسماكها وحيواناتها . . . والانسان كيانا مرتبط بالمادة . فقد جبله الرب من الأرض ونفخ فيه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية . . . وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، وأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . أى أن الانسان أخذ سلطانا الهيا على الخليقة المادية وصار سميتها ورئيسها وكاهنها أمام الله . ولما سقط آدم في العصيان لعنت الأرض بسببه وجاءت اللعنة هكذا : « بالتعب تأكل من الأرض كل أيام حياتك ، وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب والى تراب تعود » .

ولكن الله عندما أراد أن يخلص الانسان لم يخلصه بعيدا عن الكون والأرض التي أخذ منها ، انما أخذ جسدا وحل بيننا على أرضنا ، وقدس الطبيعة البشرية باتحاده بها ، وأعطى امكانية تقديس المادة أيضا اذ تعامل معها . . . فقد أكل وشرب وتنسم الهواء ونام واشتغل نجارا وركب البحر وعلق على خشبة ودفن في الأرض ، ثم قام بقوة لاهوته ليعيد العلاقة السليمة التي كانت بين الانسان والمادة . . هذه العلاقة التي كانت لتوطيد حياة الشركة بين الانسان والله في الجنة ، ولكنها فسدت بالمصيبة وجاء الرب يسوع ليصحح وضعها ويعيدها الى أصلتها .

ومن هنا رسم الرب سر الأفخارستيا ليكون قمة هذا التصحيح . فالأرض والماء والهواء والحيوان والانسان يشتركون معا في تقديم الخبز والخمر على المذبح ليكونا جسد الرب ودمه الأقدسين وكان الأرض التي لعنت تقول اخالقها : ليس في استطاعتي تقديم الشكر لتنازلك وحضورك في مذود بيت لحم ، وتعاملك مع المادة والكون سوى أن أقدم لك نتاجي ليكون قربانا يتقدس بالروح القدس على المذبح وترفع اللعنة عن الكون كما رفع سلطان الخطيئة عن المؤمنين . وهكذا أعيد للانسان المؤمن مسؤليته ازاء الكون . فهو مسئول من خلال الكنيسة أن يصلى عن جميع

ما في الخليقة المادية ونحن نلاحظ هذا في تسبحة الفتية
الثلاث والتي احتفظت الكنيسة بها وترددها كل يوم في
تسبحتها اليومية ففي ابصالية الفتية الثلاث تنشد الكنيسة
قائلة :

« الآن يا قوات الرب باركوا اسمه الكريم . أيتها
الشمس والقمر والنجوم سبحوه وزيدوه علوا .

وايضا الأمطار والأنداء امدحي مخلصنا لأنه هو اله
آبائنا اعط مجدا أيتها السحب معا والأهوية والنفوس
والأرواح والبرد والنار والحرارة ..

وأيضا أيتها الليالي والايام .. النور والظلمة والبروق
قائلة المجد لك يا محب البشر ..

أيتها الأشجار وجميع ما ينبت في الأرض وكل ما يتحرك
في المياه والجبال والغياض سبحوه وزيدوه علوا »

وفي الهوس الرابع تردد الكنيسة المزمور ١٤٨ :

سبحوا الرب يا جميع ملائكته .. أيتها الشمس والقمر ..
أيتها التنانين وجميع الأعماق . النار والبرد والثلج والجليد
والريح العاصف ، الجبال العالية وجميع الأكام . الأشجار

المثمرة وكل الأرز .. الوحوش وكل البهائم .. الهوام وكل الطيور ذات الأجنحة فليسبحوا جميعا اسم الرب الليليوبيا لأنه قد تعالى اسمه وحده ..

وكما في ليتورجية التسبيح ترى الكنيسة نفسها مسئولة عن أن تنوب عن الخليقة المادية في تقديم التسبيح والشكر لله .

هكذا أيضا في ليتورجية الأفخارستيا ترى الكنيسة نفسها مسئولة عن أن تصلى من أجل الخليقة المادية .

فهي تصلى من أجل المياه لكي المسيح الهنا يباركها ويصعداها كمقدارها ويفرح وجه الأرض ويعولنا نحن بنى البشر ويعطى نجاة للبهائم ، وتصلى من أجل الزروع والعشب ونبات الحقل في هذه السنة لكي المسيح الهنا يباركها لتنمو وتكثر بشمرة عظيمة ويتحزن على جبلته التي صنعتها يداه ويغفر لنا خطايانا ..

وتصلى من أجل الأهوية والثمار وكل شجرة مثمرة في كل المسكونة لكي المسيح الهنا يباركها ويكملها سالمة بغير ألم ويغفر لنا خطايانا ، وتصلى من أجل الأرض لكي الرب الإله يكثر أثمارها ويعدها للزرع والحصاد ويدبر حياتنا

كما يليق . . « بارك أكليل السنة بصلاحك من أجل فقراء شعبك ، من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضعيف ومن أجلنا كلنا نحن الذين نرجوك ونطلب اسمك القدوس لأن أعين الكل تترجاك لأنك أنت الذى تعطيتهم طعامهم فى حين حسن » . وتصلى فى صلاة الموضوع من أجل « كل مدينة وثوراة وكل القرى وكل زينها . ونجنا كلنا من الغلاء والفناء والزلازل والفرق والحريق وسبى البربر ومن سيف الغريب ومن قيام الهراطقة » .

وهكذا من استعراض هذه الصلوات نرى كيف أن الكنيسة تشعر بمسئوليتها ازاء الكون بكل أبعاده ، وتشعر أن يد الله تعمل فى الأمور المادية مثل الزرع والحصاد كما تعمل فى الأمور الروحية كالخلاص وحماية الكنيسة من الهراطقة .

وإذ تصلى من أجل النمو الروحى ، تصلى أيضا من أجل حماية العالم من الغلاء والوباء والزلازل والحريق والفرق . .

إن الكنيسة تصلى من أجل أن الله ينمى الإيجابيات فى الحياة المدنية ويحمينا من السلبيات وأخطار الحياة على الأرض .

هذا الاتجاه يتناغم مع مقاصد الله ، فالرب يسوع
عندما وضع الصلاة الربانية قسم الصلاة الى قسمين :
قسم منه تمجيد لاسمه وطلبه للمكوثه وتتميم مشيئته ،
وقسم آخر فيه الحديث عن الخبز والعلاقة الحسنة بين
الانسان وأخيه ..

وهذا ما يجعلنا نقول ان الله لا يريدنا ان نخلص من
العالم بل ان نخلص بالعالم .. فهو الذى صلى الا يأخذنا
الآب من العالم بل ان يبقينا فيه ويحفظنا من الشرير .

وكلما اتسع قلب المؤمن ليصلى من اجل الجميع ، وكلما
استنارت بصيرته وأحس بمسئوليته ازاء العالم ، ازاء
المؤمنين وغير المؤمنين ، ازاء المحبين وغير المحبين ، ازاء
رسالة الخلاص ، ومسئوليته ازاء الكون .. كلما شعر
المؤمن بهذا كله ، كلما تجلت الليتورجيا بمجدها ، وأصبحت
زخما دسما ، وعظرا له راحته ، وجمالا له بهاؤه وروعته .

والأرض وكل ما عليها من خلال ليتورجية القداس ، ومن
خلال ليتورجيات التسييح ، تعد وتهيأ لتكون أرضا جديدة
ليست كالأرض الأولى ، ولكنها ستكون مسكن الله مع الناس

وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا ، والله نفسه يكون معهم الها لهم . . وسيمسح الله كل دمة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت حسب وعد الله الصادق « هأنا أصنع كل شيء جديدا » .

فكما أنه ليس هناك تناقض بين السر والكلمة في اللاهوت الأرثوذكسى ، هكذا أيضا ليس هناك تناقض بين الروح والمادة . بل ان الله الذى تجسد وجمع فى شخصه مادة عالمنا الأرضى ووحدها مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . . هو أيضا يعطى من خلال الليتورجيات تقديسا للروحيات والماديات والكونيات معا لى يكون انسان الله كاملا فى كل شيء . .

الليتورجيا والنظرة العصرية

يظن البعض أن الكنيسة ، من خلال الليتورجيات التي تمارس طقوسها في دورات السنة والأسبوع واليوم ، ليست متجددة ، وانما محافظة وجامدة لا تطوير فيها ولا تجديد .

والحقيقة أن الكنيسة الأرثوذكسية وان كانت محافظة وتقليدية وآبائية ، إلا أنها ليست جامدة بل على العكس انها من خلال نظم عبادتها وقراءاتها السنوية والأسبوعية واليومية تعطي للانسان حولا لكافة مشكلاته ومعاناته وقضاياه اليومية .

ولنحاول في هذا المقال أن نذكر بعض هذه القضايا ونبين كيف أن الليتورجيات الكنسية تقدم حولا جذرية لها .

قضية لقمة العيش

ان العالم المادى والطعام خلقا ليكونا وسائط لحياة الشركة مع الله . فانهما اذا اخذا من يد الله فانهما يصبحان

وسائط حياة حقيقية ، ولكن **الطعام المادى فى حد ذاته ليس فيه حياة** ولا يمكنه أن يعطى حياة .. الله وحده هو الحياة الحقيقية .

سر الحياة اذن ليس فى لقمة العيش ، وانما فى العمل الالهى الذى يكمن وراءها .. فى اليد المباركة التى تقدم لنا طعامنا وقوتنا ، ولكن اذا انفصلت لقمة العيش عن **مصدرها الأصيل صارت سببا فى العيوب والمنازعات** والانقسامات على مستوى الأفراد والدول والتكتلات العالمية ، كما يصبح الأكل أيضا مجالا لاثارة الشهوة والنجاسة والحروب الجسدية ، وكذا التعب والغم والهم وحزن القلب ، والأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية . . . وعندما جاء الرب يسوع الى عالمنا أراد أن يعيد العلاقة السليمة بين الانسان والمادة كما سبق الايضاح فى الحديث عن مسؤولية المسيحي ازاء الكون ..

أراد الرب يسوع أن يغلب فى المعركة التى انهزم فيها آدم الأول ليهبنا سر النصر والقلبة على الاعتماد على الذراع البشرى ، فصام وانتصر فى التجربة وأعلن أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله .

والمسيحي فى ليتورجية الصوم يتجرد من الحياة

حسب الجسد ليحيا حسب الروح ، ومن ثم يصبح الله كل غذائه وشبعه وحياته . . ان ليتورجية الصوم تعطينا الفرصة للتأكد من رفضنا الاعتماد على المادة والطعام ليبقى الطعام مجرد وسيلة لنيل البركة والنعمة الالهية . .
ونتحدى الأكذوبة والكذاب الذي خدعنا في أن نعتمد على الطعام في حياتنا ، ونبنى على قاعدة لقمة العيش معارفنا وعلومنا ووجودنا كله . . الصوم هو فضح لهذه الأكذوبة وكشف للوهم والغش والخداع . . انه المعركة الحقيقية ضد الشيطان لأنه تحد لقانونه ومنهجه الذي به يترأس على العالم .

فكما أن يسوع لم يرض أن يأكل في التجربة على الجبل من يد الشيطان ، هكذا نحن أيضا عندما نجوع في الصوم نكتشف أننا مستقرون مكتفون بكلمة الله ومتعزين بالكنيسة وليتورجياتها . . بهذا وحده نهزم سلطان لقمة العيش . .

وكما أن الرب يسوع بارك الخمس خبزات والسمكتين ليعلمنا أنه هو مصدر البركة والحياة ، هكذا المؤمنون يصلون على الطعام ويشكرون الرب على المائدة ويتناولون طعامهم بنسك وشكر . .

وكما أن الرب يسوع في ليلة آلامه أخذ خبزا على يديه

الطاهرتين اللتين بلا عيب ولا دنس . ونظر الى السما نحو
الآب وشكر وبارك وقدس . ثم أعطى تلاميذه خبزا قد تحول
الى جسده المقدس ، وعصير كرمة قد تحول الى دمه الكريم
فاننا من خلال ليتورجية الأفخارستيا وذبيحتها يتقدس
الصوم وننال قوة ونصرة وشبعا وضمانا لعدم العودة الى
الخبز كمصدر وعماد للحياة ، **أى أننا من خلال ليتورجية
الأفخارستيا التى تكمل وتقدس ليتورجية الصوم نضمن
عدم الردة الى حياة آدم الأول بعد سقوطه وعصيانه ،**
وفقا لما يقوله الكتاب « الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة ،
والله سيبيد هذا وتلك . . لكن الطعام لا يقدمنا الى الله ،
لأننا ان أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا نقص » ١ كو ٨ : ٨

فمن خلال هذه الليتورجيات نفضح الأكذوبة القائلة
ان الانسان يأكل ليحيا ، ونؤكد حقيقة أن الله وحده هو
الخبز الحقيقى والحياة الحقيقية ، وكل من يأكله يحيى
الى الأبد . انه من علامات هذه النصره على قضية لقمة
العيش بما فيها من هموم وأحزان . **اننا نأكل بروح الكفاف
والبساطة وبهجة القلب ،** كما كانت كنيسة الرسل تأكل فى
القديم اذ يقول معلمنا لوقا « وكانوا يتناولون الطعام
ببساطة وبهجة قلب وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد

ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً . . ولم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ، ويأتون بأثمان المبيعات ، ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل أحد كما يكون له احتياج « أ ع ٤ : ٢٢ - ٢٥

ان مشكلة لفظة العيش تجد لها حلا عند المؤمن في :

١ - تعزيتة بكلمة الله والصلاة والفرح بالخلاص .

٢- تعزيتة بالتناول من الجسد والدم الأقدسين اللذين هما حياة أبدية .

٣ - اشتراكه في ليتورجية الأصوام وانتصاره على شهوات الجسد .

٤ - تناول الطعام بروح الكفاف والبساطة وبهجة القلب وبروح الشكر والعطاء والرحمة للفقير والمسكين واليتيم والغريب .

وهذا ما يردده القديس الالهى « اصنع معنا حسب صلاحك يامعطيأ طعاما لكل جسد . املاً قلوبنا فرحاً ونعيماً

ومهما كانت عليية قلوبنا مغلقة بهموم الحياة وضغوط
المطالب فان يسوع يستطيع ان يدخل العلية كما فعل مع
تلاميذه معطيا اياهم سلامه .

لا امل لحل قضية العزلة الا في الحب وحده . هذا

الحب الذى ينسكب بالروح القدس وينحدر من رأس
الكنيسة الى الأعضاء كما ينحدر الطيب من لحية هرون الى
جيب قميصه . . ان اجتماع المؤمنين معا بروح واحدة يحقق
حياة الشركة . . ومن خلال الشركة مع الله ، والشركة مع
السمايين والشركة مع المؤمنين ، تنمحي مشكلة العزلة ، لأن
النفس تشبع بالحب في الجو الأخوى الذى يسود المناخ
الكنسى . . ان جميع الليتورجيات الكنسية تعمق اتجاهات
الفرح والشكر والسلام في قلوب المؤمنين « قلوبنا امتلأت
فرحا والسنتنا تهليلا ، عظم الرب الصنيع معنا فصرنا
فرحين » وحيث يوجد الفرح السماوى تتبخر أدخنة
العزلة والهموم والفراغ الداخلى ، وتنقشع سحب الحزن
والمرارة ، ويحل المسيح بالايمان في القلب ، وتنسكب المحبة
الفائقة المعرفة في طولها وعرضها وعمقها وعلوها .

هكذا عاش آباؤنا القديسون الشهداء والمعترفون

والنساك والصديقون الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة
وكانت صلواتهم في الكنيسة مصدر تعزية وفرح وسلام
اذ رفعتهم النعمة فوق أجنحة النسور ليصيروا فوق
ضيقات الزمان وأوجاع المكان وضعفات الكيان .

قضية الألم والمرض .

كلما أوغل الانسان في سبيل التقدم والرقى الحضارى
كلما كثرت معاناته وآلامه بسبب ترقى حساسيته ونضج وعيه
ورقة شعوره ، وهكذا تقل لدى الرجل البدائى درجة
الاحساس بالألم وتضعف لديه القدرة على تمييز المواقف
الأليمة ، بينما تعمل المدينة - لدى الرجل المتحضر - على
زيادة احساسه بالألم ، وتقوية قدرته على ادراك المواقف
المؤلمة ، فانه لمن الواضح أن تعقد أسباب الحياة لابد من أن
يفضى الى تنوع آلام الانسان . والمدينة تزيد من عمق آلامه
لأنها في نفس الوقت تفتح أمامه مجالا واسعا من الانجازات
الحضارية الراقية ومعنى هذا أننا نشترى حضارتنا بأفدح
الأثمان كما يقول بعض الفلاسفة .

فما الذى تقدمه الليتورجيات لمشكلة الانسان العصرى
- وهى تزايد آلامه وأمراضه - انها تخصص صلوات كثيرة

لأجل هذه القضية . فلدينا أوشية المرضى التي تعطى للنفس عزاء وبرودة وسلاما وغفرانا ، ولدينا ليتورجية مسحة المرضى التي تمتلىء بالصلوات للشفاء النفساني والجسداني . .

اسمع الكنيسة وهي تصلى قائلة : « يا طيب المرضى وغافر الخطايا ، المنقذ من الشدائد كل الآتين اليك ، ياميناء الخلاص من حركات الأمواج وهياجها . اصنع رحمة مع المتضايقين بالأمراض ، ونجهم من الموت الرديء . أرسل عليهم من العلو غيث رحمتك ، واغسل أذناسهم وانضح من زيت وخمر شفائك على جراحتهم » .

وتمتلىء هذه الليتورجيات بالطلبات وقراءات من الأناجيل عن معجزات الشفاء التي صنعها الرب يسوع في حياته على الأرض . والملاحظ في هذه الصلوات .

١ - أنها تطلب شفاء للنفس والجسد معا .

٢ - أنها تطلب الغفران من الخطيئة باعتبارها مصدر كل شفاء .

٣ - أنها تشجع وتشدد وتقوى المريض والمتألم لكي يتأزر بقوة الروح القدس وتوجه نظره نحو

المخلص الذي تطلب منه شفاء سريعاً وصحة
لسائر جمنده وجميع أعضائه .

« أرحه من كل سقم وحل كل آلامه وأزل
ضيقاته وأحزانه . يا مخلصنا يا مخلصنا يا مخلصنا
رجاء لهم . ياراحة التعابي . ترحمنا
فوق المجد والاكرام الى الأبد آمين . »

٤ - أنها تطلب من أجل الألم أن يرفع . وان لم
وان لم تسمح بهذه فهي **تعلمى كى الرب يهبه**
قدرة على الاحتمال . وهكذا يتحول الألم الى
هبة فينطق الفم بالتسبيح والشكر ويتحقق
القول الكتابى « حيث تكثر آلام المسيح فينا
تكثر تعزياته أيضا » .

فهرس الكتاب

- ١ - معنى كلمة ليتورجيا واهميتها
- ١٨ - الليتورجيا والاتجاه المسكونى
- ٢٢ - الليتورجيا والاتجاه الكونى
- ٣ - الليتورجيا والنظرة العصرية
- ٢٠ - قضية لقمة العيش
- ٣٥ - قضية العزلة والفراغ الداخلى
- ٢٧ - قضية الألم والمرضى

كلمة العيش في الفراعنة والاطالوس
تاريخ النشر
الدار الناشر
الاسم الكامل
تاريخ النشر

ايداع رقم ١٩٧٧/٥٥٤٩

دار الجيل للطباعة : ١٤ قصر اللؤلؤة (الفجالة) مصر

مكتبة

مكتبة الفلاحي ابراهيم والابا جريس

بيروت ١٤١١ هـ

الرقم المسام :

الرقم الجاس :

تاريخ الزود :